فؤاد مطر

صدّام حسين يتحدّث

عن معنى الخصوصيــة
إشكالية الأصالة والمعاصرة
وهموم البناء الإشتراكي

منشورات
الطليعة

تونس 1998

نصّ الحوار التاريخي الذي أجراه الصحفي فؤاد مطر مع الرئيس القائد صدام حسين بتاريخ 13 أيار/ماي 1980

مقدمة الحوار

لم يفصل الفندق الذي كنت انزل فيه ببغداد عن القصر الجمهوري سوى طريق واحد ليس بالغ الطول تقطعه السيارة غير المسرعة في اقل من عشر دقائق...وكان موعدي مع الرئيس قد تحدد في الثامنة مساء، وعلى الرغم من اني كنت انتظر هذا اللقاء بشغف لاادري لماذا ساورني وانا القي نظرة اخيرة على الاوراق التي كتبت فيها مشروع حديثي معه شعور جارف بالحرج والاشفاق ليست هذه في الواقع اسئلة انها اقرب الى ورقة عمل لنقاش طويل حول اكثر من مشكلة واكثر من قضية تحتاج كلها الى تركيز ذهني وجهد فكري وساعات ليست قليلة للمس دقائقها وتفاصيلها اتراه سوف يجد لحظات فارغة من العمل المضني المكثف ينفقها في هذا الحوار؟...ان يومه مسحون دائما خصوصا في هذه الايام التي تحولت فيها بغداد الى قاعة كبيرة لاستقبال رؤساء الدول الافريقية والاسيوية القادمين كل صباح للقاء الرئيس المقبل لمؤتمر عدم الانحياز الذي سوف ينعقد في العاصمة العربية عام 1982 واعترف انني استشعرت في نفسي اكثر من مرة الحقد على هؤلاء الرؤساء...واعتبرت ان الوقت الذي يستغرقونه في زيارتهم ومحادثاتهم مقتطعا من وقتي هل ينبغي ان اعتذر لهم الان وانا في طريقي اليه؟

غير ان صدام حسين يمثل في الواقع ظاهرة فريدة في قدرته على التحمل وطاقته على العمل فما بين رحيل رئيس من اولئك الرؤساء وقدوم الاخر كان صدام حسين يغادر على الفور مكتبه فجأة تراه في احدى الوزارات او المؤسسات او المصانع او المدارس او وحدة من وحدات الجيش وسرعان ما ينتقل منها الى مدينة او لواء او قضاء او قرية من قرى الحدود النائية...يزور اهلها اهله يدخل بيوتهم ويسأل رجالها ونساءها وشيوخها وشبابها عن احوالهم وهمومهم ومشاكلهم ويحمل على كتفه اطفالهم ثم يتقاسم معهم خبزهم لقد اصبح صدام حسين في وجدان المواطن العراقي مهما كان موضعه في ارض العراق وموقعه في الخريطة الاجتماعية العراقية الزائر العزيز المتوقع في اية لحظة والمنتظر وصوله دائما في اي مكان وفي كل مكان ما من رجل قد اعاد حرث الارض العراقية من شمالها الشامخ بجبال كردستان حتى جنوبها المنساب مع سهول الرافدين مثل هذا الرجل انه يعيد غسل التربة التي تملحت من طول الهجر والقهر واللامبالاة هو ايضا – على طريقته – يقوم بالزحف الطويل وسط جماهير شعبه.

حب الجماهير والتفاعل معها..تلك هي العاطفة العميقة الراسخة التي تسكن قلوب اولئك القادة التاريخيين لاوطانهم واممهم ان هذه العلاقة الصميمية المباشرة مابين القائد وشعبه هي التي تمثل على الدوام الحبل السري الذي يربطه برحم التاريخ وبنبض الثورة والذين اتيح لهم ان ينصتوا لخطاب صدام حسين في الجلسة الختامية للمؤتمر الذي عقد في بغداد منذ شهور لمناقشة الاعلان القومي سمعوه وهو يعبر امامهم عن كراهيته للجدران السميكة الصماء التي تحبس الرؤساء وراء قضبان قصورهم وعن ايمانه العميق بان المعلم الحقيقي للشعب هو الذي يستمد حكمته الاصيلة من حكمة شعبه وكلما تأملت ايقاع حركته المتدفق احسست على الدوام ان ثمة شيئا ملحميا في مسيرته ويتردد في ذاكرتي على الفور قول ((شو ان لاي)) قبل ان يرحل من عالمنا بسنوات ليست طويلة : لقد بدأنا عام 1949 زحفا طويلا جديدا ولم نتجاوز بعد مرحلته

الاولى...ذلك ان صدام حسين يريد ان يقيم فوق هذه البقعة من الارض العربية عراقا جديدا وهو يقيمه بالفعل ولكنه ايضا وبنفس العناد والصلابة يريد الثورة المستمرة ويطمح بل ويعمل على ان تفيض ينابيعها على الارض العربية جميعها.

منذ اقل من شهرين عندما التقيت به لاول مرة عن قرب سمعته يتحدث عن الامة العربية بتاريخها وتراثها وحضارتها ورسالتها مثل متصوف في حالة من حالات الوجد ثم عندما انتقل للحديث عن حاضرها وامكاناتها وقدراتها ومستقبلها بدأ وكأنه في غرفة العلميات تحوط به خرائط جغرافية اقتصادية وعسكرية وبشرية يؤشر بيديه تاكتيكات المعارك ولا تغرب من افق عينيه استراتيجياتها.

وفجأة يسألني عن المصريين في العراق كيف هي احوالهم؟ وكم بلغ عددهم الان؟ واقول انهم يقاربون الان مليون مواطن عربي مصري يعملون في كل انحاء العراق من حدوده الشمالية حتى حدوده الجنوبية فيشك في الرقم هل اصبحوا بالفعل مليونا؟ واحاول تأكيده فتلمع في عينيه نظرة فيها مزيج من الاعتزاز والفرح وانا اعرف ان لمصر في قلبه مكانة خاصة لا اعرف ذلك وحدي يعرفه المصريون الذين يعملون في العراق كلهم وهو ايضا يعرف مكانته الخاصة في قلوبهم فكلما وجدوه في وسط الجماهير تصاعدت هتافاتهم بلهجتهم المصرية التي لاتخطئها اذنه (بالروح بالدم نفديك ياصدام)

نفس الشعار المحبب الى قلوبهم الذي طالما رددوه في الماضي لجمال عبد الناصر...وكأنهم بحدسهم التاريخي العميق يعيدون خلق الاسطورة المصرية القديمة من جديد ((انهض ياحوريس لم يزل لك قلبك الماضي قلبك الحي))..

عندما اقتربت السيارة من بوابة القصر الجمهوري توقفت برهة ذكرت لحراس البوابة اسمي وعبرت.

في تمام الساعة الثامنة صحبني الصديق (صباح سلمان) مدير الادارة الصحفية برئاسة الجمهورية الى مكتب الرئيس صدام حسين.كان واقفا في منتصف الغرفة تماما بقامته الفارعة ووجهه الوقور الذي تطل منه عينان يشرق منهما ذكاء حاد يقرأ على الفور – بومضة بريق – كل مافي اعماقك. غير انك بعد لحظات قليلة تكتشف ام هذا الرجل الكبير الجالس امامك الذي يمثل قطعة حية من التاريخ العربي المعاصر يملك مقدرة فذة على الغاء المسافات بل على اخفائها فرغم مهابة المقام وجلال التاريخ تحس فجأة بأن ثمة مودة حميمة بدأت تنسج خيوطها وتعبق بأريجها المكان كله وينداح في اعماقك على الفور شعور بانك امام اخ وصديق ورفيق تعرفه ويعرفك منذ اعوام طويلة.

كنت احس ان كل هنيهة الان تساوي اياما طويلة وكان علي ان اكبح في نفسي رغبة قوية في الحديث اليه وفي اشياء كثيرة وان ابدأ على الفور انجاز مهمتي حتى اضع الخاتمة لكتابي.

حاولت ان اعتذر مقدما عن طول الزمن الذي سوف يستغرقه حديثنا حاولت ان اقول انني في الواقع لا احمل اسئلة بقدر ما احمل نقاطا في محاور اتمنى ان يدور الحديث حولها وعاودني الشعور بالحرج والاشفاق معا غير انه – وقد لاحظ ترددي – ابتسم وقال لي : اطمئن لقد خصصت كل هذه الليلة لك ولقد نمت من اجلك خمسين دقيقة عند الظهيرة.

وبدأنا الحديث الذي يجد القارئ نصه في الصفحات التالية.

وكان ذلك في منتصف الساعة التاسعة من مساء الثالث عشر من مايو – ايار عام 1980.

ماذا تعني الخصوصية؟

فؤاد مطر : في كل مجتمع من المجتمعات البشرية قديما وحديثا ينطبع الفكر الانساني بالكابع الوطني او القومي الخاص بهذا المجتمع سواء في مفاهيمه النظرية او في تطبيقاته العملية وهذا مايعبر عنه عادة بالخصوصية الوطنية او القومية والتمسك بهذه الخصوصية يمثل سمة من سمات تفكيرهم النظري وتطبيقاتهم العملية ولاشك ان هذا يطرح مجموعة من التساؤلات كيف تنظرون الى هذه الخصوصية كشكل او كجوهر ثابت فاذا كانت كشكل الا يعني هذا امكانية تغيره وتطوره مع التطور الاجتماعي في كل مرحلة من مراحل الزمان اما اذا كانت جوهرا ثابتا فكيف يمكننا اذن ان نحدد القاسم المشترك بين المجتمعات وبين البشر ان الخصوصية في نظرهم لاتلغي امكانية التاثير والتاثر ولكن كيف بفضل هذه الخصوصية وبرغمها ان نصل الى فكرة التعميم في الخبرة البشرية التي هي اساس لوجود قانون علمي على المستوى الاجتماعي.

السؤال الاخير في هذه النقطة في اي مجتمع طبقي هناك دائما اشكال مختلفة للصراع الاجتماعي بداخله ماهي خصوصية الصراع الاجتماعي الطبقي داخل المجتمعات العربية بشكل عام والمجتمع العراقي بشكل خاص وما هو الفرق او الفروق بين هذا الصراع في مجتمعاتنا العربية ونظيره في المجتمعات الكبقية الاخرى في نظركم؟

صدام حسين : لنقل انه ليس هنالك تجربة انسانية وعندما نقول انسانية لا نقصد انها تتعلق بالانسان فقط وانما نقصد انها تجربة ذات بعد انساني اي ذات شمولية وتاثير اوسع من بيئته المحلية الا وانتقلت من مواقعها الوطنية تاثيرا وتفاعلا الى مجتمعات اخرى كما انها لابد ان تكون عند ولادتها قد تأثرت بتجارب مجتمعات وطنية اخرى سبقتها وحيثما تتوفر فرصة للالتقاء بين الامم بين القوميات بين المجتمعات..لابد ان تقوم عملية تفاعل جدية بين هذه المجتمعات ليس في التجربة والوسائل فحسب وانما في الفكر والطبائع ايضا...وهكذا فهذا الموضوع واحد من القوانين المركزية..وهو ليس قانونا يكتشف حديثا وانما هو قانون قد وجد ورافق حركة المجتمعات الانسانية منذ ان وجدت البشرية على سطح الارض ومنذ ان وجدت العقائد بما في ذلك العقائد السماوية فلو جئنا وتتبعنا العقائد السماوية ولناخذ اليهودية والمسيحية والاسلام ستجد ان روح قوانين كل ديانة متحركة ومنقولة عن التي سبقتها مع حالة الولادة المتقدمة والمتطورة عما سبقتها رغم الفترة الزمنية الطويلة بين دين ودين.

ونجد ان هنالك جسرا مشتركا بين الاديان ولكن هنالك اعتبارات من اهم ما فيها عامل الومن بين دين ودين هي الاساس في ان تجعل الدين الجدسد ياتي باحكام خاصة به ولكن عندما ترجع الى احكام سابقة في الدين السابق تجد ان فيها من روح الاحكام التي تلتها الشئ الكثير.. ولذلك ومثلما قلنا رغم ما يحصل من اختلاف في الاحكام بين دين ودين نجد جسرا مشتركا يربط انسانيا وفي الاهداف العامة وفي روح التوجه العام بين الدين السابق والدين اللاحق.

من كل هذا نريد ان نقول انه لاتوجد تجربة انسانية نستطيع ان نقول انها قومية (صرف) عندما ينظر للمسألة القومية نظرة منغلقة لذلك نستطيع ان نقول بشكل جازم انه لاتوجد امة ليس للامم الاخرى فضل عليها بصورة او بأخرى حتى وهي تلعب دورا قياديا في خدمة الامم الاخرى من خلال رسالة انسانية ما تؤديها لصالح البشرية ان فضل الامم الاخرى عليها يكمن في عملية التفاعل بالاضافة الى فضلها على الامم الاخرى ولكن من المؤكد وليس ادعاء او تعصبا ان الامة العربية لعبت بحضارتها وبدورها الانساني والروحي اغنى

الادوار واكثرها شمولا من بين الامم الاخرى في عطائها للانسانية وهكذا حطت الاديان السماوية كلها في ارض العرب وكانت تشع منها وتنتقل بواسطة رجالها الى الامم الاخرى ومع ذلك عندما كانت الامة تؤدي رسالتها الانسانية خارج حدودها القومية كان للامم الاخرى فضل عليها من خلال عملية التفاعل والتاثر في نقل ماهو ايجابي من الخصائص والافكار اتطبعها بعدئذ بطابعها القومي الخاص وعليه نرجع كي نقول اننا عندما نتحدث عن الخصوصية لانتحدث عن الانغلاق معندما مؤمن بالخصوصية لانؤمن بالانغلاق وانما نؤمن بتلون عقيدتنا بلون الاناء الذي وجدت بالاساس فيه وترشحت عنه لاندعو للانعزال ولا ننكر تفاعل فكر امتنا مع الفكر الانساني ودور الفكر الانساني الايجابي على امتنا وبناء على ذلك فان خصوصيتنا ليست في الوسائل والصيغ والتعبير فقط وانما في المنطلقات والمنهج الفكري ايضا...وعندما نؤكد على خصوصيتنا في الوسائل والصيغ والتعبير.

وفي الفكر والمنهج الفكري فان حضور الدور الايجابي للتفاعل مع تجارب الانسانية اساسي في تفكيرنا وفي تصورنا وحينما نؤكد على هذه الخصوصية فنحن حريصون دائما في علاقتنا على ان نتعرف اكثر واكثر على تجارب الشعوب الاخرى وعلى تفكيرها وعلى تاريخها.

اما كيف ننظر الى خصوصية الصراع داخل الامة فالصراع في الغالب تحدده طبيعة المهام التي تواجه الامة في مرحلتها التاريخية الكاملة بالاضافة الى طبيعة خصوصية الامة عبر تلك المرحلة التاريخية بكاملها والمتكونة عبر عوامل موضوعية وتاريخية عديدة اخرى ايضا وعلى هذا الاساس فان صراع الامة هو صراع قومي واجتماعي لانها امة مجزأة ولانها امة مستهدفة في ان تبقى مجزأة مستعمرة وان تستمر في نفس الوقت القوى التي تريد ان تستمر الامة او تهيمن عليها في محاولاتها بواسطة اعوانها المستغلين (بكسر الغين) في داخل الامة والذين تتناقض مصالحهم وتطلعاتهم مع مصالح وتطلعات الاغلبية من ابنائها وفي الوقت الذي يوجد فيه تناقض بين الامة وبين كل ماهو طفيلي ومستغل في داخلها محليا فهناك تناقض بينها وبين اعدائها وخصومها الاخرين فيما يتعلق بنضالها من اجل التوحد ومن اجل التحرر لبناء حضارة العرب القادرة على ابراز الشخصية القومية للامة العربية كما ينبغي والقادرة على تأدية دورها الانساني خارج حدودها القومية تأدية حضارية بناءة متطورة وفعالة.

اشكالية الاصالة والاغتراب

فؤاد مطر : في الفكر العربي الراهن كثيرا ما توضع قضية الاصالة والمعاصرة وضعا خاطئا على اساس ثنائي فالبعض يرفض الاصالة باسم المعاصرة او العصرية باسم الاصالة واذا سمحتم لي فأنني اضع القضية الوضع الاخر فأقول ان جوهرها الحقيقي لايتمثل في التناقض او التعارض بين الاصالة والمعاصرة وانما بين الاصالة والاغتراب المقصود بالاغتراب هنا الاغتراب في المكان والزمان معا الانفصال عن الواقع المحدد وتبني تجارب جاهزة لمجتمعات اخرى على صعيد النظر او التطبيق هو شكل من اشكال الاغتراب كما ان محاولات العودة الى ماضي هذا المجتمع نفسه وتبني افكاره او تجاربه كما كانت هو شكل من الاغتراب ايضا.

وسؤالي الان ليس فقط عن موقفكم النظري من هذه القضية وانما عن الطريق العملي لحل هذا الاشكال في مجتمعنا العربي الراهن وهل تعتقدون ان صيغة الدولة القومية العلمانية يمكن ان تكون الصيغة المثلى لتحقيق الاصالة وتخطي الاغتراب في المكان والزمان واذا امكن ان يتحقق ذلك على صعيد الدولة اي على صعيد التطبيق العملي فما هي طبيعة الايديولوجية البديلة لأيديولوجية السلفيين التي تنادي بالعودة الى

الماضي وايديولوجية المغتربين التي تنادي او تؤدي الى الانقطاع عن الجذور؟ وهل تتصورون ان مثل هذه الايديولوجية البديلة قادرة على احتواء او تصفية كل النزاعات الرجعية التي تتستر خلف الدين تارة وخلف الطائفية الدينية تارة اخرى؟

صدام حسين : من المؤكد ان ليس هنالك تصرف صحيح مالم ينضج من تصور صحيح ولذلك ليس بامكاننا ان نتحدث عن العلاج العملي جوابا على سؤالكم بدون ان نقول تصورنا النظري لخلفية الجانب العملي من الاجابة على السؤال.

من المؤكد انك انطلقت في هذا التعبير (الطريق العملي) من كونك نعرف منطلقاتنا النظرية ولكن مع ذلك لابأس ان نضع خلفية نظرية لتفاصيل عملية لاحقة للاجابة عن هذا السؤال

بالاساس يعتمد التصرف الصحيح على كيفية مانتصوره صحيحا وانت قد اجبت عن السؤال في الصفحة النظرية ومعالجة هذا الموضوع تعتمد بالاساس على : كيف ينظر الانسان الى الماضي؟

هل يريد ان يعود الى الماضي ام يريد ان يحرك روح الماضي اليه؟ هل تصوره رجوعي وهل تصرفه رجوعي ام انه تصرف وتصور ينطلق الى امام بالوقت الذي تحضر فيه روح الماضي لتساعد التقدم الى الامام ولاترقله؟ ويجري كل هذا بروح مستلزمات الحياة الجديدة التي لا يمكن الا ان تكون متحركة ومتطورة ولايمكن للانسان ان يكون ذا شأن فيها مالم يكن فاعلا بها الى الامام اذن فان حزبنا ينطلق بالاساس في هذا الموضوع من تحريك روح الماضي اليه وليس الرجوع المتدحرج الى الماضي بتصور (خطوة الى الخلف) وانما بتصور وفعل الخطوة الى امام فعندما نحرك الماضي اي بمعنى نحضر الماضي بروحه وقيمه لاغراض التفاعل لتادية رسالة الحياة في العمل الى امام فاننا في هذا لانستنسخ الصيغ والفعل من الماضي وانما نمد جسرا حيا يربط بين الماضي والحاضر ينفتح للمستقبل بكل مستلزماته في التطوير والفعل الى امام.

عندما نستحضر حلقة من حلقات تجارب العرب الماضية وندرس تاريخ احد الخلفاء الراشدين مثلا فاننا لانستعير الصيغ التي استخدمها وانما نأخذ الروح التي انطلقت منها الصيغة او الصيغ التي استخدمها في معالجة الموضوع...وعندما نقول ان فلانا كان مبدئيا ولم يجعل الارض ومغرياتها بديلا عن قيم السماء وحاول ان يستحضر قيم السماء في الوقت الذي استخدم معطيات الارض لخدمة تلك القيم السماوية بهذا المنظور بعد ذلك كيف نتصرف على ضوء تصرف هذا الجد الذي هو جزء من تاريخنا؟ علينا ان لا نستعير صيغا استخدمها هو من قبل 1400 سنة وعلينا ان لا ننشغل في مناقشة ماذا نأخذ من عمر بن الخطاب وماذا ناخذ من علي ابن ابي طالب وماذا ناخذ من ابي بكر الصديق وماذا ناخذن عثمان بن عفان من صيغ العمل وتطبيقاته وانما علينا ان نفهم روح سيرة هؤلاء الاجداد نفهم كيف نكون اصحاب مبدأ في النظرة الى الحق والحقوق بين المواطن والحاكم كيف نستحضر عدالة الاولين في روحها كيف نستحضر اشتراكية العرب المسلمين في روحها وقيمها العامة كما جاءت في تصرف الامام علي وتصرف عمر بن الخطاب.

وهكذا فاننا عند دراسة فعاليات وتصورات العرب عبر تاريخ الامة نستفيد منها كدروس بليغة لكي نجعل روح العصر ممتدة اليها في الوقت الذي نحرك روح الماضي الى العصر وعندها بامكاننا ان نستقي الدروس البليغة من التاريخ والتراث بدون تعصب او رجوع الى الخلف يمنع او يعرقل التقدم الى امام.

وبذلك تكون قوانين الحاضر ومستلزماتها قد سجلت حضورا ثوريا حيا لان التاريخ والتراث سيكونان جسرا ممتدا ومتحركا الينا ولسنا حالة راجعة اليهما...

اذن فأية حالة اقتباس وأية نظرة شكلية للماضي وأية نظرة شكلية للحاضر توقعنا بخطأ جسيم وهكذا يكون التخلي عن الماضي عبارة عن تشيث شكلي بالمعاصرة وانتماء مظهري للمعاصرة والتخلي عن الحاضر المتحرك للامام ومستلزماته وقوانينه هو انتماء شكلي الى الماضي وليس انتماء انسانيا ثوريا له..

وهكذا علينا ان ندرك ايضا ان الاجداد الاوائل كانوا منتمين انتماء ثوريا الى حاضرهم – الذي اصبح ماضيا – في الوقت الذي كان فيه حاضرهم منتميا اليهم انتماء ثوريا لانه كان متحركا الى امام بفعل القيم والممارسات التي كانوا يغيرون الواقع بموجبها وكانت النقطة الاساس في عظمتهم انهم ثاروا على علاقات ومقاييس في الماضي كانت متخلفة ولذلك ينبغي ان تكون هذه الصيغة واضحة امامنا تمام الوضوح وينبغي ان نفهم ان اية صيغة من صيغ المعاصرة الان والتي تستهوي البعض للانتماء الشكلي اليها انما هي جزء من تاريخ امم اخرى لم تكن معزولة في حركتها عن عصرها الذي عبرت عنه في الوقت الذي لابد انها اتصلت بماضي تلك الامم اتصالا حيا...لذلك فنحن عندما نقتبس مظاهرها وحلقاتها لانتمي الى امتنا انتماء صحيحا..وعندما سننتمي الى الحاضر انتماء شكليا وانتماء مبتورا وانتماء غير انساني وغير ثوري في نفس الوقت.

على هذا الاساس نحن عندما ننفتح على معطيات حضارة الغرب الحديثة فانما لكي نفهمها ولكي نتفاعل مع ماينبغي ان نتفاعل معه وعندما ننفتح على تجربة الاتحاد السوفيتي والدول الاخرى فنحن لانريد ان ننتمي انتماء شكليا الى اي من هذه الحضارات التي هي ثمرة مجهود انساني قومي بالدرجة الاساس يتواصل فيه الحاضر مع الماضي او الاصح يتحرك فيه الماضي الى الحاضر ويتصل به فالأمم الاخرى تنتمي الى تجاربها انتماء متكاملا وهكذا تكون جزءا من ماضيها في الوقت الذي تؤدي واجبها في حاضرها بينما نحن اذا انتمينا الى المعاصرة بصورة مظهرية فسنكون عمليا خارج امتنا في الوقت الذي نكون فيه خارج الامم الاخرى ايضا ونكون في هذا التصرف والتصور غير ثوريين لاننا لانقدم اضافة ابداعية للحياة ويكون دورنا مقتصرا على النقل والتحريك الالي لتجارب وتصورات الشعوب.

نرجع الى هذا الموضوع مرة اخرى ولنناقش الامور مناقشة علمية ونترك كل معطيات ومستلزمات الجانب الروحي خارج المناقشة ولننظر الى الحياة نظرة علمية تحليلية..لنقل انه لم يثبت لدينا ولم نطلع ولم نعرف ان هنالك فاصلة في الحياة الانسانية كان فيها الانسان يحس بالسعادة لمجرد الانتماء الى الارض وما يترشح عنها وما يبقى على سطحها كان الانسان عبر التاريخ يتطلع باستمرار الى ماهو ابعد من المرئي لكننا نجد احيانا ان التطلع الى ماهو ابعد من المرئي يجعله يتخذ من المرئي نفسه حالة وكأنها قائمة خارج ارادته وخارج الحضور العلمي لحواسه فيجعل من الصنم الذي يصنعه بنفسه من الحجر الها له رغم ان هذا الصنم في مادته جزء من الارض التي يقف ويعمل على سطحها اذن فان حاجة الانسان الى التطلع خارج مايقع بين يديه او الى ((روح)) حتى ماهو موجود بين يديه من مادة وما هو مرئي منها حاجة قائمة ولذلك نجده احيانا يجعل من الصنم حجرا ينظر اليه على ان له ((روحا)) وغالبا ماتشتد الحاجة الانسان او معرفته للمرئي وعندما يزداد تمتعه به الى الحد الذي يغدو فيه قد اشبع كل الحاجات الانسانية في جانبها المادي وصار يشعر بالاختناق او ((الفراغ)) كنتيجة للاشباع المادي او عندما تستحقه ظروف الحياة وتتغلب عليه فيشعر ((بالفراغ)) لعدم مقدرته على السيطرة على شؤونها وتسخيرها واحضار مستلزماته وحاجاته منها كما ينبغي وهكذا تجد ان الانسان يتطلع الى ((الافق)) والى الاعلى متجاوزا المنظور عندما يرتقي الذرى في اعلى قممها...عندما يتوفر له كل مايطلب من حاجات مادية وعندما يعجز عن الحصول على ابسط مستلزمات الحياة الصحيحة عندما يكون صحيحا معافئ وعندما يكون مريضا..وان اختلفت درجات التطلع من حيث الحاجة اليها بين هذا الصنف او

ذاك غير اننا نجد ان التفكير في التطلع الى الاعلى وخارج المنظور غالبا مايرافق الناس الذين تقسو عليهم شروط الحياة وظروفها سواء كانوا على الارض (المنبسطة) او في (الوديان) بنسبة اعلى من سواهم.

اذن فان هذه الظواهر وحالاتها مسألة انسانية والحاجة اليها انسانية كذلك.

نعود الان الى مجتمعنا العربي لنجد ان نظريتنا قد ترشحت من هذا الواقع القومي للامة في الوقت الذي نسعى فيه لتغيير هذا الواقع وتحريكه وصيرورته باتجاه يجدد امكانات الامة ليضعها في موقع تصبح قادرة فيه على العطاء والتوثب والصيرورة الحضارية وعليه ينبغي الا ننسى واقع وتاريخ الامة العربية وكيف كان تاريخها مليئا بحركة الاديان وبتطلعات الانسان الى العبادة...لذلك لا يمكن للامة حاليا ان تكون بلا علاقة بين الارض والسماء

ولكن العلاقة التي نريدها بين الارض والسماء تختلف عن نظرة السلفيين المتخلفة لها.نعود الى الاجابة المباشرة هل ينظر الى العلمانية على انها تعني الالحاد ام ينظر اليها بانها تعني ان يكون للدولة مهام وعليها ان لا تغرق بأية حالة دينية تصورا او سلوكا تجعلها منتمية على وجه التخصيص الى جزء من الامة بدون ان تحظى باحترام وبموافقة الامة كلها وبدون ان تختلف الامة عليها؟ ان دولة العرب التي نريدها هي الدولة التي يعيش في ظلها العرب بحرية كافية في اديانهم ومعتقداتهم الدينية وانتماءاتهم المذهبية وعلى الدولة ان ترعى المعتقدات والاديان واماكن العبادة والطقوس الدينية دون ان تتدخل فيها او تنتمي انتماء تخصصيا فئويا الى اي منها وهكذا على دولة العرب الحديثة ان تتجنب في ان تكون ((بيت)) عبادة او مفتي عبادة او مفتيا للحياة من طريق ديني وان تركز على دورها وواجبها بوصفها مفتي الحياة وبيت حياة العرب الجديدة الذي يجمع كل ابناء الامة من مختلف العبادات والاجتهادات والانتماءات في ظله..

فهكذا ننظر لدولة العرب وهكذا ننظر لنواتها في القطر العراقي لذلك ترانا نرعى اماكن العبادة بلا تفرقة فلا نرعى اماكن العبادة للمسلمين وحدهم ونترك اماكن العبادة للمسيحيين ولا نرعى طقوس هذه الفئة او تلك من المسلمين دون غيرهم لاننا نأخذ جوهر الامة في صلاتها بالروح فترانا نرعى كل دور العبادة ونحترم كل طقوس الشعب فاذا كانت لدينا اية محاولة لفك اي تعارض بين مستلزمات الحياة بنظرتها الواسعة وبين طقوس العبادة في بعض الممارسات التي قد نجتهد انها بحاجة الى ذلك فاننا نعتمد اسلوب التوعية بالدرجة الاساس ودون ان نستخدم السلطة استخداما فئويا ضيقا.هذاهو الاساس في صلة الانسان بالدين وليس هناك من هو عاقل من ابناء الامة يفهم جوهر الدين ومستلزمات الحياة بمعانيها الواسعة والعميقة ويقع في خطأ يجعله يتجاوز هذه الحقائق..ولو سالت كل الناس الذين هم الان يجزئون الامة عمليا في هذا القطر العربي او ذاك بسبب مواقفهم وتصوراتهم الخاطئة هل تريدون ان تجزئوا الامة لاجابوك..لا...لا نريد ان نجزء الامة ولكنهم يتصرفون عمليا بهذا الاتجاه لانهم ينطلقون من تفكير مخطئ يفضي الى تصرف يجزئ الامة اذن فالعاقل المخلص للامة ولرسالتها والذي يحرص على ابعاد مخاطر التجزئة والتشرذم والفرقة عنها هو الذي ياخذ الامة كلها ولاياخذ جزءا منها فلو اننا حولنا الدولة الى مركز للفتوى وللتخصص الديني وللتخصص الفئوي في الانتماء لكنا اخذنا جزءا من شعب العراق دون ان ناخذ كل شعب العراق وقد ينتمي الينا او ننتمي الى اجزاء اخرى صغيرة من شعبنا العربي ولكن سوف لن ننتمي ولن تنتمي الينا الامة كلها فنحن في امة بيننا المسلم وبيننا المسيحي بيننا العربي وبيننا الكردي وبيننا قوميات اخرى بيننا السني وبيننا الجعفري وبيننا الحنبلي وبيننا الشافعي والحنفي فنحن لا نريد ان نوقف اجتهاد المعتقدات..اذ ان هذا ليس من شأننا وليس من واجبنا..ليجتهد المجتهدون وليتناقش رجال الدين فيما بينهم وليقل كل واحد منهم رايه في طبيعة ما يعتقده في المسألة الدينية ولكن على الدولة ان لاتكون مجتهدا

جديدا في الحياة من مدخل ديني اذ انها ان فعلت هذا فانها في احسن احوالها ستعتبر مجتهدا دينيا جديدا عليه ان يصطف مع المجتهدين الدينيين الاخرين يختلف معهم او يتوافق معهم وهي في هذا لابد ان تنتمي الى هذه المدرسة الدينية وهذا المذهب او ذاك اذا ماعالجت شؤون الحياة من زوايا دينية.

ان تاريخ المسلمين العرب يشير الى انهم بعد – بل واثناء – عهد الخلفاء الراشدين قد اختلفوا اختلافات واسعة وعميقة في تفسير الطريقة الاجدى لتطبيق احكام الدين في الارض وفي وقت لم تكن الاحكام الدينية قد ارهقت بعد باجتهاد المدارس الدينية والمذاهب فكيف الان اذا مازجت الاحكام الدينية في اعطاء الفتوى بالممنوع والمسموح في شؤون الحياة التي زادت مفرداتها الاف المرات عما كانت عليه الحياة قبل الف سنة مثلا ان زج السلطة في اعطاء احكامها على شؤون الحياة من مدخل ديني لابد ان يفضي الى واحد من امرين : اما عرقلة التطور في شؤون الحياة وتحويلها الى جحيم لايطاق من شانه ان يقتل ابداعات الانسان وتفاعله مع روح العصر ومستلزماته او افراغ الدين من قدسيته ومهابته وروحه وتحويله الى غطاء لتبرير الكثير من مفردات الحياة بما يسئ الى الدين.

لنعد الى مسألة الاختلاف العقائدي في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم بمسافة قصيرة من غياب محمد (ص) هؤلاء الناس قد اختلفوا وهم الذين كانوا اصحاب محمد بن عبد الله (ص) عندما كانت تنزل عليه ايات القران ان نظريتنا وضعت لتفسير الحياة وتغييرها ولم توضع لتفسير الاحكام الدينية وتغيير الحياة من مداخل اجتهادية...ان وحدة الامة وفي كل الاحوال تتطلب ان نتجنب هذا المدخل لكي لانغرق الامة ونبتعد عن دورنا التاريخي لقيادتها وهي موحدة اذا فان المسألة من الناحية العملية والنظرية خارج اطار مصلحة الامة.

لو سالنا الان سؤالا لو كانت الامة العربية كلها الان دينا واحدا ومذهبا واحدا فهل ستكون لديكم نظرة اخرى في بعض تفاصيل المسألة؟...والجواب هو : نعم قد تكون لنا نظرة اخرى لبعض تفاصيل المسألة لان افكارنا لم تأت معلبة وانما هي مترشحة من واقع موجود والواقع هو هكذا كما تحدثنا عنه الان وليس كما يفترض ان يكون فلذلك ليس من مصلحة الامة لامن الناحية النظرية ولا من الناحية العملية ان يفكر الناس الذين يريدون فعلا توحيد الامة ووضعها في حالة صيرورة جديدة في دورها القومي ودورها الانساني في ان يعالجوا الحياة من منظور ديني لانهم في احسن احوالهم سيكونون مجتهدين دينيين يختلف معهم على نطاق واسع وعميق ليس (الدنيويون) فقط وانما (الدينيون) بالدرجة الاساس سواء كانوا مجتهدين صغارا او مجتهدين كبارا وبالنتيجة النهائية وفي احسن احوالهم سينتمون وينتمي اليهم جزء من الامة وليس الامة كلها لذلك ليس هنالك اي انسان يدعي انه قادر على توحيد الامة العربية من منظور ديني اذا ما زج الدين في شؤون تفاصيل الحياة لانه سيجتهد دينيا ايضا وسينتمي الى احد المجتهدين وفي الاغلب سيكون لانتماء عائلته الديني او المذهبي دور اساس في تفسير الدين في صلته بالحياة فرجل الحكم سينتمي حتما مذهبيا عند ذاك بالاضافة الى انتماءه الديني وربما سينتهي حتى فرقيا داخل المذهب الواحد وسيكون هذا الانتماء هو الاساس في تفسير شؤون الحياة وفق الاحكام الدينية كما يفهمها وبعد ذلك سيجد الاخرين من شعبة خارج اطار هذا الانتماء وفي كل الاحوال ان المدخل الديني في تفسير الحياة وفي تغييرها كان موجودا اثناء وقبل ان نصبح بعثيين والمنهج الالحادي الشيوعي كان موجودا اثناء وقبل ان نصبح بعثيين ومع ذلك فاننا رفضنا المنهجين وتوجهنا صوب منهج البعث وامنا به لذلك فاننا نعتقد ان منهج البعث هو المنهج الصائب في تغيير الحياة الى امام وهو المنهج الذي استطاع دون غيره ان يفهم مستلزمات حياة العرب المعاصرة ويضع لها الحلول الناجحة لذلك كانت نظرية البعث ومنهجها الثوري هما طريق البعثيين وعدة نضالهم وليس اي طريق اخر..

قد يظهر من يقول ان هذه المفاهيم تضع القومية فوق الدين او تغلب القومية على الدين ونقول ان هذه المفاهيم تضع القومية في مستواها ودورها الانساني الصحيح وتترك للدين مستواه ودوره دون الاساءه اليه...وعلى اية حال فان هذا التفسير ليس تفسيرا للحياة من مدخل ديني وانه لا يتضمن اية اساءة للدين طالما يحترم قيم الدين ومبادئه ويترك للشعب والامة حرية التصرف في المعتقدات الدينية وطقوسها اننا ينبغي ان نقول بان الدين الاسلامي لم يكن بديلا عن القومية العربية في معانيها الانسانية ودورها الانساني وليس حالة متعارضة او متناقضة معها بل ان الدين الاسلامي قد اكد المعاني القومية المتفتحة والانسانية واكد الكثير من اخلاق وقيم العرب الاصيلة وقد اعطى الدين الاسلامي للعرب دورا انسانيا قياديا ليس داخل الوطن العربي فحسب وانما خارج حدودهم القومية ايضا في الوقت الذي بلور وعمق اهم خواصهم ومقوماتهم القومية بعد ان عززها بروح الرسالة ودورها الانساني وعزز امكانات الرسالة الاسلامية على الارض بخواص العرب ومقوماتهم القومية الانسانية الاصيلة...

ان الاسلام نبذ الروح القبلية المنغلقة والمتخلفة والمتناحرة عند العرب وهيأ الاجواء الصحية لوحدتهم القومية ودورهم الانساني الحضاري الارقى ولم يكن ضد العروبة وضد وحدة العرب القومية وانما كان معززا للعروبة ووحدتها وجعل من خواص العرب مرتكزا لنشر الاسلام الى ابعد نقطة في الارض لذلك فان اية دعوة دينية لاتضع هذه المبادئ في حسابها وعلى وجه الخصوص دور العرب القيادي في الدين وعدم تعارض الدين مع القومية العربية ومنهجها الانساني الاشتراكي لايمكن الا ان تكون معادية للعروبة ومنحرفة عن المنهج الصحيح والمفاهيم الصحيحة لجوهر الدين.

على اننا لانختلف مع (الدينيين) في ان الدين قد يصلح كعدة معارضة وسلاح ضد الطغاة والمستبدين والفاسدين من الحكام في مرحلة من مراحل الحياة وفي ظرف من ظروفها ولكن ينبغي ان لايتصرف ذهن المناضل العربي الى ان هذا هو العدة الوحيدة وهو السلاح الوحيد لمجابهة الفساد والظلم وان ينتبه الى ان لايمسك السيف من نصله فيقود استخدام الدين كسلاح او غطاء للمعارضة الى تمزيق الشعب واحياء الاراء والنظريات المتخلفة وتعطيل تقدم الحياة وروح المعاصرة التي بدونها ستبقى امتنا مستعبدة وغير قادرة على الاشعاع والعطاء الانساني القومي..

هموم البناء الاشتراكي

فؤاد مطر : ان قضية بناء الاشتراكية في العراق هي احدى الهموم الشخصية بالنسبة لكم وما تحقق على طريقها من انجازات يدل على مدى الجدية والعمق والمتابعة التي تولونها شخصيا ويوليها حزب البعث لهذه القضية الحيوية يتمثل ذلك في بناء قطاع عام صناعي يسيطر على 90٪ من الصناعة الوطنية و80 ٪ من المزارع الجماعية ومزارع الدولة والتعاونيات في قطاع الزراعة 92٪ من التجارة الخارجية التي تهيمن عليها الدولة ومع ذلك فان هناك بعض المخاطر التي تحيط بهذه التجربة :

أ- خطر التكنوقراط

ب- خطر البيروقراطية

ج – خطر الطبقة الجديدة التي يمكن ان تتكون وتتبلور مصالحها من خلال بعض المجالات مثل (المقاولات).

*مارايكم في هذه الاخطار بالنسبة للتجربة العراقية؟ وكيف يمكن تجنبها او تخطيها؟

*مازالت الراسمالية العقارية – في قطاع الاسكان بشكل خاص – تحتل مكانة متميزة داخل العراق ماهو مستقبلها الاقتصادي في تصوركم؟

* كيف يمكن درء الاخطار المترتبة او التي يمكن ان تترتب على ميل ميزان التجارة الخارجية لصالح الدول الراسمالية العالمية سواء على صعيد التصدير او الاستيراد ايضا؟..اذا افترضنا ان ذلك صحيح؟

*القارئ لكتاباتكم حول قضية التكنولوجيا يداخله الاعتقاد بانهم تتصورون امكانية ان تكون التكنولوجيا في عالمنا الراهن في ظل المنافسة الدولية وبالنسبة للدولة القادرة على الدفع مباشرة مثلكم محايدة الى اي مدى يمكن ان يكون هذا الاعتقاد صحيحا؟ وفي اية حدود؟ وما هو رايكم في المقولة التي تتردد احيانا بالنسبة للعالم الثالث عموما وتتحدث عن تسلل الاستعمار الجديد عن طريق التبعية التكنولوجية؟ وماهي الحصانة التي يمكن ان يتمتع بها العراق في هذا المجال هل هي حصانة السلطة الثورية؟الرقابة الشعبية؟ استقلال الارادة السياسية؟ ام ماذا؟

صدام حسين : سأجيبك جوابا اجماليا على ما تضمنه سؤالك وليس جوابا متقطعا على كل فقرة من الفقرات التي تضمنها سؤالك.ان فكر حزبنا يرفض المذهبية الفكرية المنغلقة...اي انه يرفض القول بان النظرية الثورية تولد متكاملة من حيث التحليل والمعالجات التفصيلية لكل شؤون الحياة وتستمر هكذا دون تغيير جوهري عليها ونؤمن بان النظرية الثورية تولد وتترشح من الواقع تصورا ووسائل وتتفاعل معه وهكذا في الوقت الذي تغير الواقع الى امام فانها تغتني منه وتتطور بتطوره لذلك فان حلقاتها تبقى مفتوحة في التصور النظري وفي وسائل المعالجة الثورية لكل اضافة جديدة ولكل تكييف جديد.

وهكذا علمتنا التجارب ايضا بان الفكر الثوري في الوقت الذي يكون حالة متقدمة على الواقع فانه حالة مترشحة منه ومتفاعلة معه لذلك...لذا فاننا ونحن نعالج ضمن مرحلة معينة من المراحل شؤون الحياة في الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية علينا ان نفترض حالة التفاعل هذه على هذا الاساس والتي تفترض التغيير المستمر الى امام في الافكار والوسائل وفي نفس الوقت علينا ان ننطلق في معالجاتنا من ثقة كاملة باننا على صواب كامل في معالجاتنا هذه بضوء مايتيسر لدينا من تصور فكري وعملي عن الحياة..

وهكذا فاننا في نفس الوقت الذي ننطلق في المعالجة باقصى ثقة وباننا على صواب فيها علينا ان نفترض ان هذه المعالجة ينبغي ان تكون حالة متحركة وهكذا سيترشح عن الحركة الاجمالية للواقع معطيات جديدة تستلزم منا ان نعيد النظر باية معالجة من المعالجات التي نجريها لصالح المنهج العام الذي تتبناه وتؤمن به الجهة التي تقود السلطة والمجتمع وعندما يكون المنهج اشتراكيا فان كل حالة من حالات اعادة النظر بالمنهج او التصرف يجب ان لا تكون عودة عن المنهج الاشتراكي وانما تعزيزا له وتعزيز المنهج الاشتراكي ينبغي ان ننظر له نظرة متفتحة تستوعب وتسعى الى كل مايحقق السعادة للانسان حتى لو تطلب الامر التغيير المستمر بالوسائل والصيغ المعبرة عن المنهج الاشتراكي والمحققة للسعادة الانسانية فعندما نقول بان هدفنا ينبغي ان يكون دائما عندما نعيد النظر بوسائلنا وصيغنا في المنهج الاشتراكي هو تعزيز المنهج الاشتراكي ينبغي ان لا ينصرف الذهن فقط الى زيادة مساحة ملكية القطاع الاشتراكي في الزراعة والصناعة والخدمات وفق تصور تقليدي منقول عن تجارب دول وانظمة اخرى في هذا الميدان وعلى سبيل المثال فان مساحة القطاع الاشتراكي في الريف العراقي الان من الارض الزراعية هي 80% وهذا يشمل التعاونيات الزراعية والمزارع الجماعية ومزارع الدولة ولكننا عندما نتحدث عن تعزيز المنهج الاشتراكي في الزراعة

فلا يفترض هذا دائما اننا ينبغي ان نزيد من مساحة السيطرة على اراض جديدة لضمها الى التعاونيات او الى مزارع الدولة او الى المزارع الجماعية وانما يفترض البحث في تطوير وسائلنا وفي صيغ عملنا وفي علاقتنا الزراعية داخل القطاع الاشتراكي وفي علاقة القطاع الاشتراكي بالقطاع الخاص بما يزيد من انتاجية القطاعين ويلغي الاختناقات في كليهما ويجعل الفلاح اكثر سعادة ورضا في الوقت الذي يحقق السعادة للمواطن العراقي والعربي عموما من خلال وفرة الانتاج وتحسن نوعيته وانسيابيته بصورة صحيحة.

ان المفاهيم الاشتراكية والمناهج الاشتراكية ومنذ وجد التفكير والتطبيق الانساني لها تربط بينها جسور مشتركة من حيث المفاهيم العامة والاساسية وان هناك قوانين اساسية مركزية متفق عليها من حيث الجوهر في كل المنهج والدعوات والنظريات الاشتراكية الانسانية بما في ذلك المناهج الاشتراكية في الاديان اولها ان يكون المجتمع الاشتراكي خاليا من الاستغلال وان لاتشكل الملكية في الحالة الاجتماعية والسياسية اعتبارا اجتماعيا وسياسيا او درجة اجتماعية وسياسية تضع الانسان المالك بحسب حجم ونوع ملكيته فوق الاخرين من البشر وهكذا لاتكون الملكية مرفوضة في صيغتها الاستغلالية فقط وانما مرفوضة عندما تتحول الى اعتبار اجتماعي او سياسي مرجح (بكسر الجيم) لمركز المالكين من الناحية الاجتماعية والسياسية ويجعل الناس متمايزين عن بعضهم بسبب الملكية ويكون من حصيلة كل هذه المفاهيم والمنهج الاشتراكي تهيئة الاجواء المناسبة للانسان وجعله يشعر بالسعادة ويتصرف كانسان سعيد لذلك فان الاشتراكية في منهجنا ليست منهجا للتصحيح او للثورة على العلاقات الاقتصادية المتخلفة والاستغلالية فقط وليست حالة اشباع البطن وانما حالة صيرورة الانسان الجديد واشباع للحاجة الانسانية بكل معانيها وجوانبها المادية والمعنوية فالانسان السعيد في نظرنا ليس هو الانسان الشبعان المقتنع بلقمة عيشه فقط ولقد تكون هذا التصور نتيجة لاطلاعنا العملي اكثر من اطلاعنا النظري.اي ان اطلاعنا العملي على تجارب الشعوب الاخرى كان اكثر تاثيرا على تصوراتنا وعلى تجاربنا من البحث النظري والاطلاع النظري على الفكر الانساني سواء كان راسماليا او شيوعيا حيث لاحضنا من خلال اطلاعنا شعوبا لم تكن تعاني من الجوع لكنها ايضا لا تتمتع بالسعادة اذن فحصيلة كل العوامل التي نبحث فيها هي ان الانسان ينبغي ان يشعر انه في مجتمع هو المجتمع الذي يريده وبانه انسان سعيد ليس المهم في الاشتراكية ان يكون توزيعك للثروات المتيسرة توزيعا عادلا فقط وانما المهم ايضا وبمستوى متفاعل معه ان ينجم عن المنهج الاشتراكي ثروة متطورة في حجمها وفي نوعها مع تطور مستلزمات واحتياجات العصر للانسان الحديث في المجتمع الاشتراكي الجديد وبدون ذلك فانك تساوي الناس في الغنى والفقر ولاتساويهم في السعادة والرفاه وليس المطلوب في الاشتراكية ان تساوي الناس في البؤس وان تساويهم في القنوط وان توزع عليهم الثروة بحجمها ونوعها المتوفر توزيعا عادلا فقط وانما ان تخلق لهم ثروة بما يتوازن مع مستلزمات ومتطلبات الحياة بمعانيها وظروفها وصيغها المتطورة بموجب المنهج الاشتراكي ومتفاعلة مع التطور الانساني في العالم عموما..لاننا لسنا حالة معزولة عن العالم اذن ففي عالم اليوم عندما ندرس منهاج الاستيراد نقول ان نسبة القطاع الاشتراكي في التجارة الخارجية هي 92٪ وان هذا المنهاج يمنع الاستغلال ويخلق في الوقت نفسه حالة سعادة للانسان عند ذاك تكون هذه النسبة هي النسبة المطلوبة وقد تستمر هذه النسبة عشر سنوات لكن في اي وقت نكتشف فيه ان هذه النسبة لاتحقق سعادة الانسان والمطلوب نسبة 90 ٪ قطاع اشتراكي فقط فسنحذف 2٪ونعتمد ال 90٪ وتكون ضمن هذا المفهوم قد عززنا المنهج الاشتراكي لانه مالم يكن الانسان سعيدا بمنهجه فانه لا يتمكن من التشبث بالثورة الاشتراكية وبمنهجها الاشتراكي... والحالة المرفوضة التي يقتضي تثبيتها تصرفا قسريا من قبل الدولة تجاه المواطنين سينجم عنها حالة رفض مضاعفة فعندما نقول ماذا يريد العراقيون؟ انهم يلبسون وياكلون وهذه معاملنا الوطنية تنتج بضائع وطنية ونحن نستورد لهم فيما يتعلق بمستلزمات الغذاء كذا...علينا ان ندرك ان العراقي كانسان لايريد هذا فقط فهو احيانا يعترض على

طريقة البيع نفسها في القطاع الاشتراكي ومرات لايناقش اي الاسعار ارخص هل هو القطاع الاشتراكي ام سعر القطاع الخاص وانما يناقش ايضا ايهما يسهل له الحصول على البضاعة بانسيابية صحيحة اكثر من غيره فهذه حالة انسانية موجودة وهي لاتغيب عن اذهاننا مطلقا بل هي حاضرة يوميا وتفصيلا ولذلك لانستطيع ان نقول لك ان ما توصلنا اليه الان من صيغ في التطبيق الاشتراكي هي الحالة النهائية وستجدها كما هي بعد عشر سنوات من الان لا فستجدها بين كل فاصلة زمنية واخرى نعيد النظر في تدابيرنا وصيغنا واجراءاتنا ولكننا سنجري كل هذا باتجاه الا يكون هناك استغلال في المجتمع وان لا يكون هنالك اعتبار اجتماعي وسياسي للملكية يرجح الناس المالكين على غيرهم او يضعهم فوق غيرهم وان لايكون للملكية سلطة مؤثرة على سلطة الشعب وممثليه من خلال التاثير على مؤسسات الدولة والمجتمع وان يفضي هذا كله الى سعادة حقيقية للشعب ومع هذا سيكون تطبيق المنهج الاشتراكي الذي يتصوره حزب البعث حالة متحركة وليس حالة ثابتة واي ثبات فيها لاغراض ضمان الاستقرار في المعاملات والحياة الاجتماعية انما هو ثبات نسبي...

نعود الى موضوع علاقتنا بالدول الغربية اقتصاديا وتقنيا...ونجيب على جوهر سؤالك الذي يقول هل يمكن ان تكون التكنولوجيا حيادية؟ دعنا نقول ان (الامكان) حالة تخلقها الارادة وليس هناك امكانية بدون ارادة تسبقها ولكن الارادة كذلك تتفاعل مكانا وزمانا مع الامكانات نرجع الى الاستقلال لنقول ان الاستقلال هو ارادة بالاساس وهذه الارادة مرتبطة بتصور شمولي للحياة وللدور الانساني الحر المستقل فيها...انسان غير مسيطر عليه...غير مهيمن عليه...وغير مستخدم من جهة خارجية...والارادة ستخلق ظرفا جديدا ولكن ستتفاعل ايضا مع الظرف والامكانات الجديدة التي تخلقها هي نفسها....ونعود الى الاجابة على السؤال لنقول : ان العراق عندما يتحدث بثقة عن صلته بالتكنولوجيا الغربية في امكاماتها الراهنة يختلف في ذلك عن اقطار عربية اخرى

ان الثقة التي نتحدث عنها ونحن نتصل بالتكنولوجيا الاجنبية ناتجة عن الامكانات المادية والمعنوية السياسية والثقافية والاقتصادية التي خلقتها الثورة وحزبها القائد حزب البعث العربي الاشتراكي لذلك ان ما ينطبق على العراق في عدم تأثيره سلبيا وعلى نحو يهدد مسيرته الثورية في علاقته بالتكنولوجيا الغربية او بغيرها لاينطبق على اليمن الشمالي او السودان او النظام المصري مثلا وعلى هذا الاساس نحن لاننظر الى التكنولوجيا بانها بلا هوية سياسية اذ ان التكنولوجيا السوفيتية شيوعية والتكنولوجيا الامريكية امريكية وبرجوازية وراسمالية والتكنولوجيا الفرنسية فرنسية وبرجوازية وراسمالية لذلك فان التكنولوجيا ليست بدون هوية سياسية وحتى عندما تصدر هذه الدول التكنولوجيا الى الدول الاجنبية فانها تنطلق في هذا من دوافع سياسية بالاضافة الى الدوافع الاخرى ومن بينها نقل هويتها السياسية والاجتماعية الى المجتمعات التي تصدر اليها.

لنعد الى افتراضنا الذي بدأنا به كلامنا ان الانسانية تتفاعل في تجاربها وفي مدنيتها بالاضافة الى حضارتها ثم نتذكر الموضوع الاخر الذي كنا قد اشرنا اليه من قبل وهو ان الاشتراكية ليست عملية توزيع للثروة توزيعا عادلا فقط وليست اشباعا للمعدة فحسب وانما تحقيقا للسعادة الانسانية اي اشباعا وارضاء للحالة الانسانية المتطلعة الى ماهو افضل والمتحركة مع الحال زمانا ومكانا وهي بالاضافة الى هذا تخلق الثروة وتنميها على نحو افضل...اذن ليس بامكاننا وليس من الصحيح ان ننعزل عن الانسانية بمعطياتها العلمية والتقنية الجديدة لاننا لانريد ان نوزع الثروة توزيعا عادلا فحسب وانما نريد ان نخلق الثروة بحالة متطورة لاشباع الحاجات الانسانية لشعبنا وليس اشباع معدته فقط وفي نفس الوقت نريد ان نوفر الامكانات الافضل

لكي نقوي الارادة ونتفاعل معها باتجاه تعزيز الاستقلالية اكثر فاكثر ومثل هذه الاهداف لا تتحقق بالانعزال عن التكنولوجيا والعلم الاجنبيين في عصر يشكل العلم والتكنولوجيا اهم مقوماته ومقاييسه.

والان هل نستطيع ان نكون مستقلين كما نريد وكما نطمح بدون ان نكون متطورين علميا وتقنيا في عالم اليوم؟ الجواب : لا قطعا اذن حالة الانعزال هي في الوقت التي قد ترضينا شكليا وقد يبدو للبعض باننا مستقلون ستجعلنا من الناحية تابعين ومؤثر علينا سلبيا بصورة او باخرى ضمن القوانين العامة التي تحركها الحالة النهائية في مقاييس اليوم واهم ما في مقاييس اليوم هو ان الشعوب صارت توزن سياسيا في المكانة والتعامل الدولي على اساس اعتبارات عدة من اهمها معرفة الى اي حد هي متطورة تقنيا وعلميا اذن سوف ينقصنا قدر من الاستقلال بمقدار متوازن مع الفجوة الموجودة علميا وتقنيا في قطرنا وفي الامة العربية بالقياس الى الدول المتقدمة الاخرى التي تريد ان تبتزنا وتجعلنا تبعا لها وتضعف سعادة شعبنا ان الدول الاكثر تطورا حتى عندما تشبع معدة شعبنا من امكانياته فانها لاتشبع حاجته الانسانية اذا ما تمكنت من السيطرة عليه وابتزازه هذه هي تجربتنا الاشتراكية التي ندعو اليها ونعمل بموجبها..

اذن فان التقنية وحلقاتها المتقدمة التي نحتاجها في البناء وفي الدفاع عن النفس موجودة عند الدول المتقدمة وافضل حالاتها موجودة عند افضل الدول تقدما من الناحية التقنية والعلمية لذلك فانها موجودة عند السوفييت كما هي موجودة عند الامريكان وعند الفرنسيين وعند الانكليز وعند الايطاليين وعند الالمان واليابانيين وليست موجودة عند العراق وعند غانا وعند غينيا وعند كوبا اذن لابد ان نجلبها من هناك لكي نجعل انساننا سعيدا ولكي نجعل امكاناتنا الوطنية تتيح لنا ازدهارا اكثر في تجربتنا ولكي تكون الارادة اكثر فاعلية للمحافظة على استقلاليتنا بل واكثر فاعلية لتأدية دورنا الانساني الذي ينبغي الا ننساه.

وخلاصة القول فان من يتمكن وطنيا من بناء تكنولوجيا وطنية تحقق السعادة لشعبه هو افضل من الذي يستورد التكنولوجيا وان من يستورد التكنولوجيا بدون شروط هو غير الذين يستوردوها مصادرها...ولكي يستورد اي بلد التكنولوجيا بشروطه هو يجب ان تتوفر لديه ثلاثه عوامل اساسية : اولها امتلاكة للارادة السياسية الصلبة والمستقلة وثانيها توفر قدرات اقتصادية عالية لديه تجعل الاجنبي مقاولا عنده وليس وصيا عليه وثالثا توفر كادر وطني قادر على ان يستوعب التكنولوجيا المنقولة اليه بدون اشراك الاجانب على نطاق واسع ووفق شروطهم بما يجعله تحت رحمتهم لتوجيه استخدام التكنولوجيا وللتحكم في نوعها بالاضافة الى المخاطر الاخرى وهذه العوامل متوفرة جميعا في العراق.

وناتي الان لنجيب على سؤالكم هل ان حجم علاقاتنا الاقتصادية مع عموم الغرب اقل ام اكبر من حجم علاقتنا الاقتصادية مع عموم الغرب اقل ام اكبر من حجم علاقتنا الاقتصادية مع الدول الشيوعية بما في ذلك الاتحاد السوفيتي؟والجواب هو ان حجم علاقتنا الاقتصادية والتقنية مع الغرب اكبر ولكن علينا ان نقول كم هو المجموع الاجمالي للانتاج القومي للغرب بالقياس الى المجموع الاجمالي للانتاج القومي لكل هذه الدول الشيوعية وعند معرفة التفوق الواضح وبفروقات واسعة بين المجموع الاجمالي للناتج القومي للغرب على المجموع الاجمالي للناتج القومي للدول الشيوعية نعرف ان الغرب يلعب دورا اكبر في العلاقات الاقتصادية والتقنية وفي التجارة الخارجية من الدول الشيوعية في عموم العالم وان الدول الشيوعية غالبا ما تتعاقد مع الغرب لتطوير التكنولوجيا الوطنية لديها من خلال نقل التكنولوجيا الغربية الى بلادها وبعض هذه العقود يجري وفق شروط خاصة اصبحت معروفة للجميع واننا نقول هذا وبلا تردد لان هذا ليس انتقاصا من تجربة احد وانما حديث عن الواقع كما هو وليس كما نريده او نتمناه ولو كان الامر ممكنا كما نريده او

نتمناه لتمنينا شيئا اخر وحالة اخرى عدنا نقل ان التكنولوجيا للحياة المدنية في الغرب متفوقة على التكنولوجيا للحياة المدنية في الغرب متفوقة على التكنولوجيا للحياة المدنية للاتحاد السوفيتي ودول حلف وارسو وهذه مسألة لايناقش فيها حتى السوفييت او الاخرون لنقل اكثر ان التكنولوجيا ذات الحلقات المدببة والشعيرات الدقيقة في الحياة المدنية - ولنستعير هذه المصطلحات تعبيرا عن التكنولوجيا التي تصل الى خلايا وحالات دقيقة ومدببة في الحياة الاجتماعية - موجودة في الغرب وليست موجودة في الاتحاد السوفيتي ونعني بذلك ان التكنولوجيا التي توفر البضائع الاستهلاكية من نوع خاص في الحياة الاجتماعية المدنية هي اكثر تقدما من مثيلاتها في دول حلف وارسو وبما اننا نريد ان نتقدم ونريد ان نتطور ونريد ان نشبع الحاجات الانسانية لشعبنا بما يحقق سعادته ويزيد من حصانته في مواجهة اغراءات الحياة التي يطلع عليها في حياة شعوب العالم المتقدم فاننا نذهب الى المتطور منها اكثر من غيره.

لكن لو سألتني كيف هي التكنولوجيا العسكرية السوفيتية؟ لقلت لك انها ممتازة ومانسبة التكنولوجيا العسكرية السوفيتية في الجيش العراقي بالقياس الى الاخرين؟ لقلت لك انها لصالح الاتحاد السوفيتي بشكل ساحق اذن نحن لا نبحث عن الجنسية السياسية المحلية للتكنولوجيا وانما نفتش عن وسائل تعزيز الجنسية القومية والوطنية لبلدنا ولأمتنا فنأخذ منها مايخدم مصالحنا وتطلعاتنا الوطنية والقومية ولو سألتني كم سدأ انشأتم؟ وماهو دور السوفيت في هذا الموضوع؟ لقلت لك ان نسبة دور السوفيت في السدود التي انشأناها عالية جدا لانهم يستطيعون ان ينشئوا السدود بمواصفات جيدة والسدود ليست حلقات مدببة وشعيرات دقيقة في الحياة الاجتماعية وكنا وما زلنا عندما نقول ان نسبة حجم السوفيت في تنفيذ السدود كبيرة فنحن في هذا لم نفتش عن مصلحة السوفيت وانما نفتش عن مصلحتنا الوطنية بالدرجة الاساس مثلما هو شأن علاقتنا الاقتصادية والسياسية والتقنية مع دول العالم الاخرى ولكن من الطبيعي ان الحياة هي حالة اخذ وعطاء في علاقاتها الانسانية ولذلك عندما يعزز السوفيت من خلال مشترياتنا العسكرية منهم استقلالنا فينبغي ان نستحضر هذا في حسابنا وفي تعاملنا معهم في الميادين الاخرى بما يشجع روح التعامل فيما بيننا على ان لا يحدث هذا خللا جوهريا في مصالحنا الوطنية.

لو كان حجم التعامل الاقتصادي مع الغرب او غير الغرب الان هو في عام 70 لمسخ الهوية السياسية للعراق ورغم ان هذا مجرد حالة افتراضية ان نقول لو تصورنا ان حجم تعاملنا الاقتصادي مع الاجنبي انسحب الى عام 70 فمعنى هذا ان التكنولوجيا كنا سنستوردها بالقروض بالاضافة الى اننا لم نكن في عام 70 كما نحن الان سياسيا وفي الحبرة اذن سيدخل مع القروض الشروط والاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية التي تجعل الجنسية السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحلية للتكنولوجيا تتصرف داخل المجتمع العراقي وفق الاتجاهات التي تختارها الدول الاجنبية على الاغلب ولكنها الان ليست كذلك الان يتعاقد معنا الاجنبي وينجز المشروع ويسلمنا مفتاحه ويودعنا ويعود الى بلاده بعد ان يأخذ ثمن جهده وبضاعته وهو بالاساس يدخل المفاوضات معنا متلهفا لكي يحصل على مشروع ما ومتنافسا مع طابور من الجنسيات الاخرى وهكذا هو شأن السوفييت والانكليز والالمان والاخرين بينما لو كنا بحالة اخرى سياسيا واقتصاديا على غيرما نحن عليه الان لكان علينا ان نستخدم علاقاتنا والاستعطاف السياسي حتى توافق الدول الاجنبية على تمويل مشاريعنا بشروط ولذلك فان القول السوفيتي او لنقل القول الشيوعي الذي يشير الى ان المشاريع مع الغرب لايمكن الا ان تنقل الهوية السياسية والتخريب في المجتمعات ولايمكن الا ان تكون مشروطة هذا القول صحيح لمجتمع ليس لديه امكانية الدفع وهو قول صحيح لمجتمع ليس فيه ارادة وطنية حازمة وصلبة وواعية في تقرير اتجاهات السياسية والاقتصاد والحياة الاجتماعية وصحيح لمجتمع ليس فيه حزب ثوري اشتراكي مناضل وصحيح لمجتمع ليس فيه قدر مرض من التطور العلمي واذا كان المجتمع بعكس هذا فان المخاطر التي تأتيه مع التكنولوجيا الشيوعية ليست اقل من التكنولوجيا الغربية ولكنه ليس خطرا في ظل مجتمع مثل

مجتمعنا كما هو الان فاذا كان تعاقد السوفيت على نقل حلقات معينة من الغرب الى مجتمعاتهم صحيحا من اجل تطوير مجتمعاتهم فانه صحيح كذلك في مجتمع ثورة تموز العظيمة فمثلما ان السوفيت واثقون من ان هذا لايؤثر سلبيا وبدرجة جوهرية على حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فكذلك الحال بالنسبة لنا وان كان بدرجة اخرى وربما نيتطيع القول اننا اقدر من السوفيت في التفاوض مع الغربيين بلا شروط في بعض المشاريع المدنية وربما يكون هذا لان السوفيت ليس لديهم امكانية للدفع بالعملة الصعبة مثل امكانيتنا المقاسة على اساس حجم مشاريعنا وبالطبع فان حجم مشاريعهم اكبر ولكن المسألة نسبية ولذلك فنحن مطمئنون من انه لن تنقل الى مجتمعاتنا الهوية السياسية والاجتماعية للتكنولوجيا الغربية بما يسبب محاطر جدية على مسيرتنا ومجتمعنا ولكنها (هذه المخاطر) ستتسرب لو انغلقنا عن العلم والتكنولوجيا الغربية ستتسرب من خلف الجدران وخلف الحدود فعندما يبقى انتاجنا الوطني متخلفا رغم زيادة امكاناتنا المالية وزيادة وتيرة التطور الانساني المتلاحق في الحياة الاجتماعية والاقتصادية من حولنا وفي العالم وعندما يذهب مواطننا الى هنا وهناك ويرى بعينيه ماهو متطورا في الوقت الذي يرى فيه ان كل شئ متخلف في العراق عند ذلك ستتسرب مفاهيم التكنولوجيا الغربية ناقلة هويتها السياسية والاجتماعية بصورة تخريبية الى داخل مجتمعنا..اذن فان حصيلة كل هذا اننا اصبحنا بارادتنا السياسية وبامكاناتنا الاقتصادية وبقدرتنا الفنية التي تطورت عبر 12 سنة نستخدم التكنولوجيا الغربية ولا تستخدمنا التكنولوجيا الغربية وعند عدم استخدامنا للتكنولوجيا الغربية فانها ستستخدمنا وهي خارج حدودنا وقد قلنا هذا الكلام بوضوح لبعض اصدقائنا من الدول الشيوعية : قلنا لهم عليكم ان تطوروا اساليبكم وتقنيتكم لانها اصبحت متخلفة بالقياس الى اساليب الاخرين في تعاملهم الاقتصادي والتكنولوجي وفي كل الاحوال فان مصلحة شعبنا هي الاساس فشعبنا يرى بعيونه وعندما يقارن بين معمل واخر فانه سيقارن بين جنسيات المعامل لانه اصبح متفتحا..الثورة علمته ان يكون متفتحا الثورة رفعت الغشاوة عن عيونه وبلورت قدراته في محاكمة الظواهر وفي معرفة دقائقها.

